alwasat.com.kw

الثلاثاء 9 رمضان 1440 هـ/ 14 مايو 2019 - السنة الثالثة عشرة – العدد 3438 مايو 2019 - 13 th year - Issue No.3438 الثلاثاء 9 رمضان 1440 هـ/ 14 مايو 2019 - السنة الثالثة عشرة – العدد 3438

فتوحات إسلامية

حكاية الفردوس المفقود

«معركة شذونة»..قلب الأندنس ينبض بالأسلا

في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام 92هـ، وقعت معركة شَذُونَة على نهر لَكَّة في الأندلس، بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد، وبين لذريق ملك القوط.

تعد «شدو نــة» مـن مـعــار ك المسلمين الفاصلة في الأندلس، وهي التي هيَّات لفتح ذلك الإقليم العظيم، الذيّ أقام فيه أهل الإسلام حضارة تفيؤوا ظلالها قرونا من الزمن، حتى شاء الله وأفل نجمها بسقوط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في شبه جزيرة أيبيريا عام 1492م.

وقد ساعد المسلمين على فتح الأندلس ما كان في تلك البقاع من نزاعات بين حكامها وساستها، ما أسهم إسهاماً كبيراً في دخول المسلمين إليها فاتحين، وهذه الأسباب هي ذاتها التي أضعفت حكم المسلمين لهذا الإقليم وقوَّضت البناء الذي بنوه، بعد النزاعات و الخلافات التي انتشرت بينهم.

بعد الرحلة الاستكشافية التي قام بها طريف بن مالك، إلى ضفاف الأندلس، وبعد أن سلَّم يوليان ملك سبتة أموره لموسى بن نصير ووعده بمساعدته في فتح الأندلس، جهز موسى جيشاً من العرب والبربر يبلغ سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد الليثي، وكان يومئذ حاكماً لطنجة، وكان ذلك فى شهر رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة. لبث موسى حيناً بطنجة يهيئ عُدة الفتح، والطاهر أن يوليان وحلفاءه لم يقصدوا بدعوة موسى أن يمتلك العرب إسبانيا وأن يحكموها، بل كان مشروعهم أن يستعينوا بالعرب على محاربة الملك لذريق، لاستخلاص الملك لأنفسهم، وكان اعتقادهم أن العرب متى امتلأت أيديهم بالغنائم عادوا

كان طارق جندياً عظيماً ظهر في غزوات المغرب بفائق شجاعته وبراعته، وقدر موسى مواهبه ومقدرته واختاره لحكم

المغرب الأقصى وأشدها أضطراباً، ثم اختاره

وقد أورد ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» أن طارق بن زياد لما ركب البحر في طريقه إلى الأندلس غلبته عينه، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون تقدم لشأنك. وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد، فنظر طارق فرأى النبي صلى الله

فى سفن يوليان القليلة، ونزل بالبقعة إلى اليوم «جبل طارق»، واخترق المنطقة المجاورة غرباً بمعاونة يوليان وإرشاده، وزحف على ولاية الجزيرة التي كان يحكها

واحتل قلاعها. وكان لذريق يشتغل يومئذ بمحاربة بعض الخوارج في الولايات الشمالية، فهرع إلى طليطلة شاعراً بفداحة الخطر المحيق بعرشه، وبعث قائده إديكو لرد العدو حتى يستكمل أهبته. ولكن طارقاً هزمه وسار صوب عاصمة القوط.

وصرامته حوله كثيراً من البغضاء والسخط، وكان عرشه يتزلزل فوق بركان من الخلاف، وكانت إسبانيا قد مزقت شيعاً وأحزاباً، يتطلع كل منها إلى انتزاع السلطان والملك، وسار لذريق نحو الجنوب للقاء المسلمين، وكان طارق قد وقف على أمر هذه الأهبة العظيمة، فكتب إلى موسى يستنجد

والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسيَّ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا طَارَقَ عليه وسلم، وأصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه، فاستيقظ من نومه مستبشراً، وبشَّر أصحابه، وقويت نفسه، ولم يشك في الظُّفر. يذكر المؤرخ المصري محمد عنان في أن طارقاً عبر البحر من سبتة بجيشه تباعاً الصخرية المقابلة التي لاتزال تحمل اسمه

تيودومير القوطي عامل لذريق.

وكان لذريق طاغية يثير بقسوته

به، فأمده بخمسة آلاف مقاتل، فبلغ المسلمون النبي عشر ألفاً، وانضم إليهم يوليان في قوة صغيرة من صحبه وأتباعه. كان القوط أضعاف المسلمين، وكان

المسلمون يقاتلون في أرض العدو في هضاب مدينة شذونة. جمع لذريق للمعركة جمعاً يقال إنه بلغ مئة ألف، والتقى الجيشان ومفاوز شاقة، ولكن قائدهم الجريء تقدم إلى الموقعة الحاسمة بعزم، فكان اللّقاء بين لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعن، وقد اتصلت الحرب بين الجانبين الجيشين على ضفاف نهر وادى لكة شمالي

المعركة أثر كبير لهزيمة القوط وجيشهم بعد ذلك،

بالإضافة إلى موت رودريك نفسه ومعه العديد

من قادة الجيش، ما أدى إلى الهزيمة القاسية

والساحقة للقوط وجيشهم في في 28 رمضان عام

92هـ - 711م، وفرار الباقي منهم من المعركة، فقام

كان للانتصار الكبير الذي تحقق في "وادي

لكة" أكبر الأثر في فتح باقي مدن الأندلس، واتجه

زياد في عام 93هـ – 712م نحو "طليطلة"، كما

أرسل قوات لفتح باقي المدن في الأندلس، وأرسل

"مغيث الرومي" على رأس فرقة مكونة من

700 جندي لفتح قرطبة، وقاد موسى بن نصير

جيشا مكونا من 18 ألف جندي من العرب لنصرة

ومساندة جيش طارق بن زياد في فتح الأندلس

من الجنوب والغرب واستطاع فتح أراجون،

واستوليا وبرشلونة، وسرقطة، وغيرها من المدن

غبُورموسىبننصير

زياد بمطارتهم وتعقبهم.

الاسبانية.

ثمانية أيام، استشهد فيها ثلاثة آلاف من المسلمين، ولكن الهزيمة دارت على لذريق، وأتم الله النصر لطارق ومن معه، وقيل: إن لذريق غرق وقُتل كثير من جيشه.



من المهم أن نعود إلى بلاد المغرب المجاورة لبلاد الأندلس ومدخلها الجغرافي، حيث فتح القائد الإسلامي موسى بن نصير بلاد المغرب حتى المحيط الأطلنطي، وبسط سيطرته على جميع المدن المغربية وأصبحت تابعة للحكم الأموي، ماعدا مدينة "سبتة" الواقعة على البحر المتوسطّ، والتي كانت حصنا منيعا للقوطيين في إسبانيا، وظلت تحت الحكم القوطي في ظل تواجد الجيش الإسلامي بقيادة بن نصير الذي لم ينجح في دخولها. وعين القوطيون في إسبانيا حاكما على سبتة يسمى "يوليان"، في مقابل الوالي "طارق بن زياد"، الدي كان يحكم جميع أراضي المغرب الأقصى، خلال هذا الوقت وقع صراع داخلي على الحكم في إسبانيا، وانقلب القائد "رو درّيك على الملك "وامبا"، واستولى على الحكم وطرد الملكّ "وامبا"، ما أشعل نيران الحرب الأهلية في إسبانيا بين أتباع "رودريك" وأتباع" وامبا"، وشهدت الحرب في البداية غلبة لأتباع رودريك.

لفهم أسباب معركة "وادي لكة" ومقدماتها،

تذكر العديد من الروايات الإسلامية أن الوالى "يوليان" حاكم مدينة" سبتة" المغربية، الذي كان من مؤيدي الملك "وامبا"، الذي أطيح به، أُرسـل ابنته إلـي القصر الملكي في إسبانياً، فاغتصبها الملك "رودريك"، وكانت تلك الواقعة الشعلة التي أوقدت نار الرغبة لانتقام يوليان من

فكر الملك المخلوع "وامبا" في الاستعانة بالمسلمين في حربه ضد رودريك، لمواجهة

سبتة للمسلمين، والمساعدة في فتح الأندلس مقابل الاستعانة بجيش طارق بن زياد في مواجهة الملك رودريك، فأسرع طارق بن زياد بعرض الطلب على القائد موسى بن نصير الذي أرسله للوليد بن عبدالملك أمير المؤمنين، الذي وافق على الطلب. وعندما وصلت موافقة الوليد على فتح

سيطرته على إسبانيا، واستعان بالوالي المؤيد له

"يوليان"، حاكم مدينة سبتة المغربية، للاتصال

بالوالي طارق بن زياد ليعرض عليه تسليم مدينة

الأندلس، بدأ القائد موسى بن نصير التحضير لحرب القوط وفتح الأندلس بمساعدة وامبا في إسبانيا، ويوليان في سبتة، وأرسل فرقة استطلاع من مدينة طنجة إلى الأندلس قوامها 100 فارس و400 رجل محملين على أربعة مراكب بقيادة "طريف بن مالك"، وهو من أبطال المسلمين في المغرب، واستطاعت هذه السرية دخول الأندلس والرجوع دون أى خسائر تذكر من

تحمس موسى بن نصير لفتح الأندلس بعد عودة السرية سالمة، وحضر جيشًا مكونًا من 7 آلاف جندى ومقاتل من العرب بقيادة طارق بن زياد، وانطلق الجيش من مدينة "سبتة" بعد تسليمها للمسلمين بناء على الاتفاق الذي عرضه يوليان الوالى ووسيط الملك وامبافي إسبانيا، قاصدا "قادس" في الأندلس، واستطّاع جيش زياد أن يدخلها دون مقاومة كبيرة، ثم اتجه بعدها إلى الجزيرة الخضراء "جبل طارق"، التي واجه فيها مقاومة عنيفة أدت إلى خسائر كبيرة

في صفوف المسلمين، فأسرع بمكاتبة موسى بن نصير لإرسال مدد إليه، وبالفعل توجه 5000 جندى بقيادة "طريف بن مالك" لمعاونته في فتح الجزيرة الخضراء.



عندما علم الملك "رودريك" بوصول جيوش العرب المسلمين، جهز جيشا ضخما يقدر ب 100.000 جندى قوطى لمواجهة جيش المسلمين، وحاصر جيش طارق بن زياد، وكانت المواجهة غير متكافئة عدديا بين ما تبقى من جيش طارق بالإضافة إلى قوات بن مالك في مواجهة جيش رودريك الكبير، ووفقا للاتفاق المبرم بينه وطارق بن زياد قام يوليان وقواته بمساندة جيش المسلمين، ومدهم بالسفن الحربية اللازمة في مواجهة الملك وامبا.

دارت معركة عنيفة استمرت ثمانية أيام، على ضفاف وادى لكة، قاوم فيها جيش وامبا مقاومة شرسة، وكان لانسحاب لواءين كاملين من



تعتبر معركة "وادى لكة" من أهم المعارك الحربية التي انتصر ون حلال شهر رمصان زياد وبجيش صغير لا يتعدى 120 ألف جندي مقابل جيش القوطيين الضخم، الذي يقدر بحوالي 100 ألف جندي، وكانت المعركة مقدمة لفتح كامل المدن الإسبانية.

سميت معركة "وادى لكة" على اسم نهر "لكة"، الذي يسمى بالإسبانية "جواديليتي"، كما سميت أيضاً معركة "شذونة"، كما أطلق عليها الإسبان اسم "دي لا جونا دي لا خاندا"، وتعني معركة "بحيرة لاخندا" القريبة من مكان المعركة.

اللقاء بين القائدين

مكث مُوسى بن نُصبر في ماردة مُدّة شهر أراح فيها جُنده قبل أن يستأنف السير إلى طُليطلة، واستدعى طارق بن زياد ليُقابله في الطريق، وفي رواية أخرى أنّ طارقًا علم بقُدُوم مُوسى إلَى طُليطلة فخرج لاستقباله. خُرج طارق بن زياد منَ طُليطلة وانحدر منها في حوض نهر تاجة حتّى لقي سيّدُه في مكان يُدعى «المعرض» بين نهريّ تاجة والتيتار، وهو كورة من كُور مدينة طلبيرة على بُعد سبعين ميلًا إلى الغرب من طُليطلة. وعقد الرجُلان مجلسًا عسكريًّا قوّما فيه اللوقف العسكري العام، وناقشًا خطَّة المرحلة التالية من الفتح. ويكاد يجمع المُؤرخُونَ العربُ والمُسلمون على أنّ لقاء مُوسى بطارَق لم يكُن وديًّا لأسباب مُختلفة، على أنّ مراجع أُخرى تُشير إلّيَ اعتراف مُوسى بن نُصير بُمكانة طارق بن زياد وفضله في فتح الأندلُس، بحيث خاطبه قائلًا: «لَن يُجَازيكَ الوَليدُ بنُ عَبد المَلك عَلَى بَلائكَ بأكثرَ من أن يُبيحُكُ الأندَلُس، فَاستَّبِحهُ هَنَيًا مَريًا»، َفقالَ لهُ طارَقَ: «أَيُّهَا الأَمير، وَالله لَا أرجعُ عَن قَصديَ هَذَا مَا لَم أنتَهيَ إلَى البَحر المُحيط أخُوضُ فَيه بفَرَسيَ»، - يَعنى أنَّهُ لنَ يتوقَّف عن الغَزوَ والجهادَ قبلَ أنَ يبلغ بحرَ اَلشَمال أي المُحيط الأطلسي – من ناحية شمال شبه الجزيرة الأيبيريّة، فيضُم كُل تلك البلاد لديار الإسلام.

تقسيم الجيش الإسلامي



قسم طارق بن زياد الجيش الإسلامي أربعة أقسام: بعث قسمًا منه بقيادة مُغيث الرومي إلى قُرطُنة كما أُسلف، وَبعث قسمًا آخر إلى مالقة، ثُـمٌ بعث قسمًا ثالثًا إلى البيرة وأمرهُ بأن يُتابع طريقه بعد ذلك إلى مرسية. ثمّ سار هُو ببقيّة الجيش في اتجاه طُليطلة. وكان قد جعلَ في كُل من هذه الأقسام أدلّاء من أصحاب يُليان. أمَّا الَّجِيشِ الذي توجِّه إلى قُرطُبة فقد فتحها كما أُسلف، وأمّا الجيش الذي توجّه إلى مالقة، على الشاطئ الجنوبي من الأندِلُس، فقد فتحها وجميع أعمالها فتحًا يسيرًا هيّنًا، بعد أن هربت حاميتها من القوط والفرنجة إلى جبال رية واعتصموا بها. ولم يجد المُسلمين في مالقة يهودًا. وأمَّا الجيش الذاهب إلى إلبيرة فاتجه

أولًا جنوبًا في شرق حتّى فتح أرشُذونة ثُمّ عطف شرقًا نُحو غرناطة مدينة كورة إلبيرة ففتحها فتحًا هيّنًا، لأنّ كثيرًا من أهلها كانوا يهودًا، وقد استعان المسلمين بهم على ضبط المدينة وإدارتها ومساندة الحامية الإسلاميّة فيها. وكان في الجيش الذي فتح غرناطة المُجاهد المشهور حنشِ بن عبد الله الصنعاني، فأسّس فيها مسجدًا. ثُمّ سار الجيش نفسه الذي كان قد سار إلى غرناطة إلى مرسية، في الجانب الشرقي الجنوبي من الأندلُس. وكان في مرسية نبيلٌ قُوطي عرفه المُسلمين باسم «تُدمير بن عبدوس» (ويُلفظ في لُغته الأم «ثيو ديمير» أو «تيودمير») يعيشُ شبه مُستقل في تلك المنطقة مُنذ أيَّام لُذريق.

كان رد الفعل لنجاح طارق بن زياد كبيرًا في شمالي أفريقيا، فقد تـوجُّه البربر إلى الأندلس بعد سماعهم بانتصارات المُسلمين هُناك، وبدأوا بالاستقرار في المناطق السهليّة من البلاد لا سُيّما تلك التي هجرها سُكّانها الذين هربوا إلى القلاع والحصون. وكان مُوسَى بن نُصير يُتابِعُ تحرُّكات طارق بن زياد العسكرية خُطوةً خُطوة، ويبدو أنَّهُ أدرك خُطُورة الانتشار الواسع للقُوّاتُ الإسلاميّة بدون تغطية عَسكريّة كافية، الأمر الذي يُسهّل على العدو مُهاجمتها، من دونَ أن تتمكّن من اتخاذ وسائل الدفاع المناسبة عن نفسها، فتضيع ثمرات النصر، ذلك أنّ خُطوط مُواصلاتها، بين طُليطلة والجزيرة الخضراء والمغرب، أضحت غير آمنة، لأنّ المعاقل الكبرى المبعثرة على امتداد تلك الخُطوط لم تخضع للمُسلمين، وما زالت جماعاتٌ من القوط

تحكم المُدن الو اقعة و ر اء خُطو ط مواصلاتهم، وتنتظر الوقت المناسب للانقضاض عليهم. كما ىبدو أنَّـهُ رأى أنَّ قائده استنفذ

طاقاته القتاليّة بعد الجُهد الكبير الذي بذله، وبخاصّةً أنّ عدد جُنُوده لم يكن كَافيًا لفتح تلك البلاد الواسعة والدَفاع

عن المُنجزات المُكتسبة، و لا بُدّ من دعمه بمدد عسكريّ فضّل أن يترأسهَ بنفسه. استخلف مُوسى بن نُصير ابنه عبد الله

رأس جيش يُقدّر بثمانية عشر ألف مُقاتلً – وقيَل في عشرة آلاف - مُعظمهم من القبائل العربيّة اليمنيّة والقيسيّة والشَّاميَّة، وضمّ أعدادًا كثيرةً من رجال قُريش البارزين الذين كانوا في مناصب القيادة في القيروان، إضافةً إلى الإداريين ورجال الدين وبقية القادة المشهورين، أمشال: مُحمَّد بن أوس الأنصاري وحبيب بن أبي عُبيدة الفهري وعيّاش بن أخيّل وعبدُ الجبّار بن أبي سلمي الزهري، واصطحب معه عددًا من أو لاده. ونهض مُوسى بن نُصير من القيروان في شهر رجب من سنة 93هـ المُوافق فيه شهر نیسان (أبریل) 712م، فعبر مضيق جبل طارق وعسكر في الجزيرة الخضراء في رمضان 93ها لموافق فيه حُزيران (يونيو) 712م لعدّة أيّام حيثُ وزّع المُهمّات

العسكريّة على قادته.

على القيروان تُمّ غادرها على